زيتون

العدد: 184

www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الخامسة | 1 أيلول 2018

هل تعطي تصريحات دي ميستورا "الضوء الأخضر" لتدمير إدلب

هل تعطي تصريحات دي ميستورا "الضوء الأخضر" لتدمير إدلب

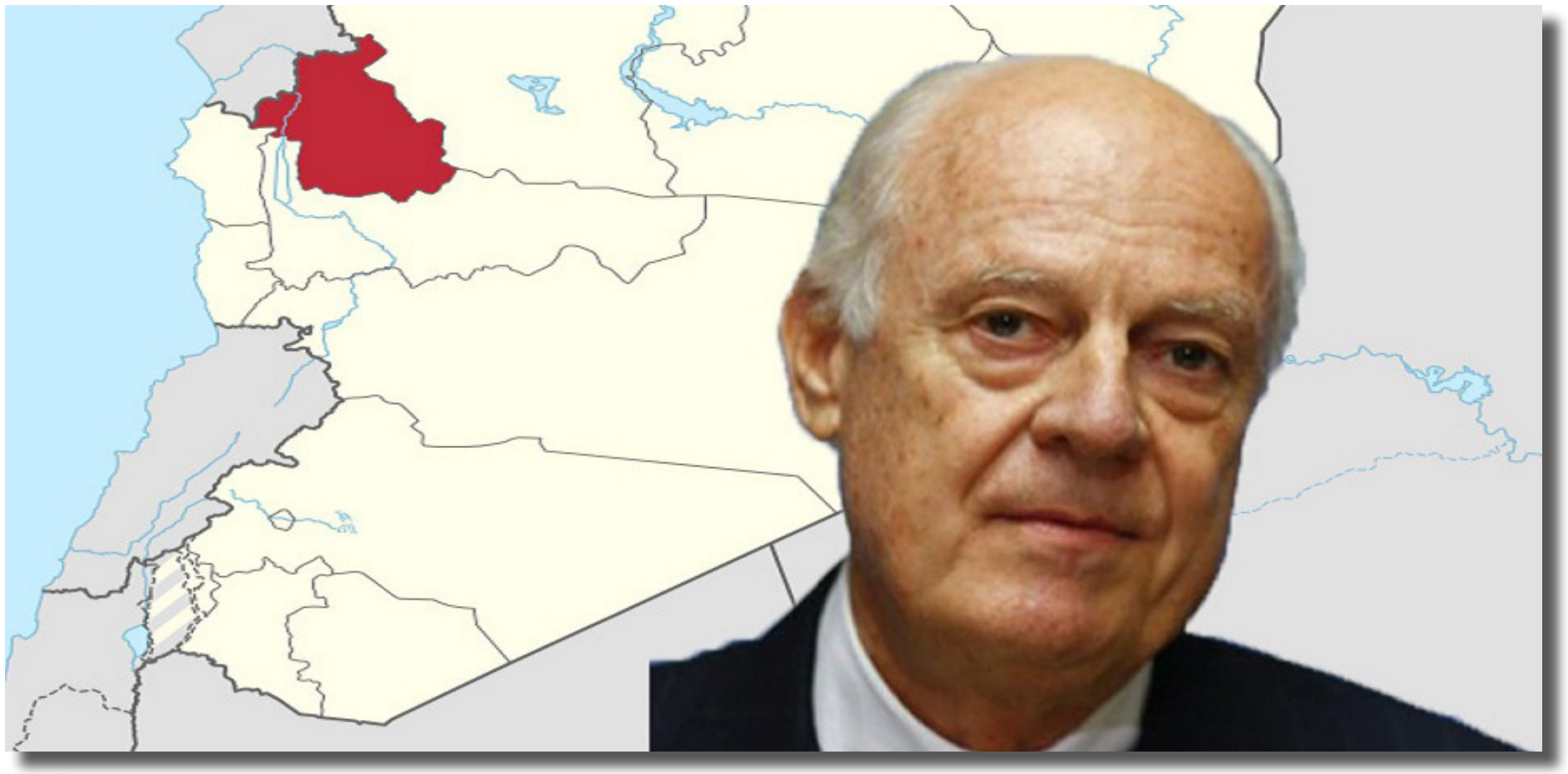

خاص زيتون

صعد المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا "ستيفان دي ميستورا" اليوم الخميس من تصريحاته التي تعطي ضوءً أخضرا لقوات النظام للهجوم على محافظة إدلب، متظاهرا بقلقه على المدنيين هناك ومعتبرا أن حياة أكثر من ثلاثة ملايين شخص هناك في خطر.

وقال دي ميستورا في مؤتمر صحفي عقد في جنيف: أن عددا كبيرا من المقاتلين الأجانب يتمركزون في إدلب بينهم ما يقدر بنحو عشرة آلاف إرهابي ينتمون إلى جبهة النصرة والقاعدة، ويجب القضاء عليهم، وحذر دي ميستورا من كارثة إنسانية في حال حدوث أي عملية عسكرية، مضيفا أنه يجب تقديم الضمانات حول المساعدات الإنسانية في إدلب بما في ذلك تأمين معابر إنسانية للمدنيين.

وعرض دي ميستورا التوجه إلى إدلب بنفسه لتأمين إقامة "ممر إنساني" من أجل إجلاء المدنيين قبيل هجوم محتمل من قبل نظام الأسد وحلفاؤه الروس والإيرانيين، قائلا: "أنا مستعد للمساهمة شخصيا وجسديا، في تأمين ممر إنساني يتيح للمدنيين الخروج إلى منطقة أكثر أمانا".

وأضاف دي ميستورا أنه يجب الضغط من أجل منع أي تصعيد عسكري في إدلب بما في ذلك منع استخدام السلاح الكيماوي، متهما هيئة تحرير الشام بأنها تملك القدرة كالنظام على تصنيع غاز الكلورين.

ولاقت تصريحات المبعوث الأممي اليوم استهجانا كبيرا في أوساط المعارضة والمدنيين على حد سواء، واعتبروه ضوءً أخضرا لبدء عملية عسكرية تستهدف ملايين المدنيين في إدلب.

من جانبه قال المتحدث باسم الأمم المتحدة ستيفان دوجاريك في مقابلة تلفزيونية أن العمل العسكري في إدلب سيؤدي إلى تداعيات خطيرة، مؤكدا أن أطراف أستانا تنخرط في مفاوضات كثيفة لحماية المدنيين في إدلب.

وحذرت الأمم المتحدة أمس من أن الهجوم المرتقب لقوات النظام على محافظة إدلب، قد يؤدي إلى تهجير ما لا يقل عن ٨٠٠ ألف شخص يعيشون أصلا في وضع إنساني مأساوي.

واعتبرت المتحدثة باسم مكتب تنسيق الشؤون الانسانية التابع للأمم المتحدة في دمشق ليندا توم في لقاء مع وكالة فرانس برس، أن الهجوم قد تكون له نتائج "كارثية".

وقالت توم "إننا نخشى من تهجير ما لا يقل عن ٨٠٠ ألف شخص وازدياد عدد الأشخاص المحتاجين إلى المساعدات الإنسانية بشكل كبير، وذلك في حال حدوث تصعيد في الأعمال القتالية في هذه المنطقة".

ومع تسارع الأحداث وسيل التصريحات بخصوص محافظة إدلب، نقلت وكالة رويترز، اليوم الخميس، عن مصدر مقرب من النظام السوري قوله: إن قوات النظام تستعد لهجوم على مراحل في إدلب والمناطق المحيطة بها في شمال غرب سوريا، حيث سيستهدف الهجوم في البداية الأجزاء الجنوبية والغربية من الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة، وليس مدينة إدلب نفسها، مشيرا إلى أن "اللمسات الأخيرة لأول مرحلة ستكتمل في الساعات القادمة".

وأضاف المصدر: أن "المرحلة الأولى من الهجوم ستشمل مدينة جسر الشغور وسهل الغاب غربي إدلب، ومدن اللطامنة وخان شيخون ومعرة النعمان في جنوبها".

من جانبه حذر قائد عمليات جيش العزة العقيد مصطفى البكور أهالي المجندين والشبيحة في ميليشيات النظام من ارسال أبنائهم لمعركة الشمال السوري المحرر لأنها ستكون محرقة حقيقية لهم، متوعدا بتجاوز كافة الخطوط الحمراء التي كانت موضوعة مسبقا فور بدء العمليات العسكرية للنظام والروس على الشمال السوري.

وبدوره أفاد رئيس المكتب السياسي لفرقة المعتصم مصطفى سيجري بأنهم في الجيش السوري الحر ما زالوا يؤكدون أن نظام الأسد لا يملك قرار البدء بعمل عسكري على إدلب ومحيطها، والأمر متوقف على التفاهمات الروسية – التركية.

فيما أصدرت رئاسة مجلس الوزراء في حكومة الإنقاذ التابعة لهيئة تحرير الشام، تعميما دعت فيه خطباء المساجد و الشباب للمشاركة بأعمال التدشيم والخروج بالمظاهرات لمساندة المقاتلين على الجبهات، نظرا للهجمة الإعلامية الشرسة والحشودات العسكرية على محافظة إدلب.

وطالب التعميم من خطباء المساجد حث الناس على الجهاد والذود عن الأرض والعرض والمشاركة في المظاهرات عقب صلاة الجمعة ومساندة المرابطين من خلال بيان أهمية الرباط وفضله، داعيا الشباب القادر على حمل السلاح لمؤازرة المرابطين المدافعين عن الأرض والعرض بأعمال التدشيم والمطابخ والمشافي الميدانية.

وتعد محافظة إدلب، آخر معقل لفصائل المعارضة، وتأوي أكثر من ثلاثة ملايين شخص، بينهم أكثر من مليون نزحوا من مناطق أخرى مع أعداد كبيرة من المقاتلين الذين رفضوا اتفاقات التسوية التي ابرمتها قوات النظام مع فصائل المعارضة برعاية روسية.

"المصالحة" صداقة الجلاد والضحية

تيسير المحمد

يروي "أحمد زيدان" أحد مقاتلي الجيش الحر في الغوطة الشرقية والذي خاض أشرس المعارك، أنه حين ساءت الأحوال وكان قرار التهجير، ومع بدء مجموعته تهيئة نفسها للرحيل، جاءهم رجل مسن كان يسكن بجوارهم، طالباً منهم أن يصطحبوه معهم إلى الشمال، ولدى سؤاله بدهشة عن سبب رغبته بالرحيل رغم مرضه وعدم حمله للسلاح وسلامة منزله من الدمار، ومحاولة بإقناعه بالبقاء، رفض البقاء وأصرّ على الرحيل، مجيبا بأنه لن يسامحهم إن تركوه، فهو لا يستطيع العيش مع من قتل أبناء بلدته وأهله واغتصب نساءهم، ما دفعهم للاصطحابه معهم.

يصف "زيدان" عمليات المصالحة ومن يوافق عليها أو يسعى إليها بـ "المسخرة" مؤكداً: "كنا نسمع في الروايات أن الذئب قد يصبح صديقاً للخراف، وهو ما حاول نظام الأسد تمثيله شكلاً، فلا يمكن لعاقل أن يصدق أي أمر يصدر عن هذا النظام، فكما قيل "نظام البعث يكذب حتى في النشرة الجوية"، فما بالك إذا كان الهدف الحفاظ على سلطته، التي دمر سوريا وقتل واعتقل مئات الآلاف من أجلها".

ويكمل "زيدان": "ما زلنا حتى هذه اللحظات نسمع عن اعتقالات وإعدامات ميدانية بحق الشباب الذين بقوا وصدقوا كذبة المصالحة، وحتى النساء لم تسلم، والعجب ممن ما زال يصدق أكاذيب نظام البراميل، ويروج لما يسمى "المصالحة" أو "العودة لحضن الوطن" فهم كالخراف الضّالة، وكما قال أحد الحكماء "مجتمع الخراف ستحكمه عاجلاً أو آجلاً حكومة الذئاب".

تكررت دعوة نظام الأسد لسكان إدلب وريفها للانخراط بما سماه مشروع "المصالحة الوطنية" على غرار باقي المناطق، وتنوعت أساليبه للدعوة لذلك عبر الترويج من خلال إعلامه أن الأهالي يطالبون بعودة سلطته، أو من خلال بعض عملائه الذين يصورون قصاصات ورقية يحملونها في أماكن معينة، مضمونها أنهم مع الأسد ومع العودة لـ "حضن الوطن"، ومؤخراً ألقى طيران النظام مناشير ورقية يدعو فيها السكان إلى الوقوف في وجه "المسلحين" وطردهم من مناطقهم.

بدأ مشروع "المصالحة" في نهاية عام ٢٠١٣ مع تمكن نظام الأسد من حصار بعض المناطق وقطع طرق الإمداد عنها، ما تسبب لهذه المناطق بكوارث للمحاصرين على معظم المستويات، من نقص في الكوادر والمواد الطبية والغذائية الأمر الذي أدى إلى تنازل الثوار عن العديد من الأمور التي كانت خطوطاً حمراء بالنسبة إليهم ودفعهم للقبول بما يسمى "المصالحة"، وفي ذلك الوقت لم يطبق الأمر كما يحصل الآن بل كانت الغاية منها إعلامية بالدرجة الأولى، لتحييد هذه المناطق عن القتال الدائر في مناطق أخرى، وجر ما تبقى منها للسير في الاتجاه ذاته.

"بشار السالم" من مهجري ريف دمشق قال لزيتون عن رأيه بالمصالحة التي يطرحها النظام: "تعودنا خلال سنوات الثورة أن نسمع جملاً ومفرداتٍ من نظام الأسد وأدواته تستخدم بعكس معناها، فالمصالحة بالمعنى الحقيقي هي لقاء بين طرفين متخاصمين تُسوى من خلاله الخلافات، وتُرد الحقوق لأصحابها ما أمكن ذلك بالتوافق بين الطرفين، وعلى الأقل يعترف المذنب بذنبه وبعدها تكون المصالحة، ولكن في عُرف نظام الأسد يجب على الضحية تقديم الاعتذار، والاعتراف بذنبها لأنها طالبت بحقها ودافعت عن نفسها بمواجهة القتل، ليتم بعدها "تسوية وضعك"، ومع ذلك لا يعني أن سجلك قد أصبح نظيفاً، بل ما زالت هناك إشارة على اسمك، وستكتشف ذلك عند أول فرصة للنظام، وستعلم أنك مطلوب للأفرع الأمنية، وكلنا يعلم ماذا يعني ذلك، وفي حال كان حظك جيداً ستساق للقتال ضد الثوار في المناطق الساخنة".

وبالرغم من كل ممارسات النظام وحلفائه من قتل وتدمير واعتقال وغيرها، إلا أن ما يسمى بـ "المصالحة" كان ولا يزال الخطر الأكبر على الثورة السورية، حيث استطاع النظام من خلالها قضم مناطق الثوار وزرع الخلاف والشقاق بينهم، وتحييد مناطق واسعة عن المشاركة في الكفاح المسلح ضده، الأمر الذي سمح له الانفراد بكل منطقة على حدىً

فضلاً عن أنه جعل هذا المشروع مسوغاً لتحسين صورته أمام المجتمع الدولي، وما فتئت روسيا تستخدم هذا الأمر في المحافل الدولية لتجميل صورة النظام، وتعلن عودة المنطقة تلو الأخرى بالمصالحة لكنف "الدولة الشرعية في البلاد"، على حدّ تعبيرها.

يذكر أن فصائل المعارضة في الشمال السوري شنّت مؤخراً حملة اعتقالات لكل من يدعو أو يروج للمصالحة مع النظام، شملت العديد من المناطق المحررة.

وأبدى ما يعرف بمركز المصالحة الروسية التابع لوزارة الدفاع الروسية غضبه من الحملة، واصفاً إياها بأنها ترمي إلى تقويض التسوية وتطبيع الوضع في منطقة إدلب لخفض التصعيد، وإفشال جهود المصالحة بين أطراف النزاع السوري هناك، ودعا المركز إلى التخلي عن الاستفزازات المسلحة، والتحول إلى مسار التسوية السلمية في المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة.

الرد الروسي وحده يبين أهمية مشروع المصالحة بالنسبة لكل من روسيا والنظام السوري، واللذان بذلا جهوداً غير عادية من أجل بقائه والاستمرار فيه، وما زالا يأملان في تطبيقه على المناطق الخارجة عن سيطرتهما في إدلب وغيرها.

"عين الزرقا" بحرنا الصغير حين يصعب بحر سوريا الكبير

قلة المسطحات المائية في إدلب وانعزالها عن منطقة الساحل السوري الواقع تحت سيطرة النظام، واستحالة السياحة باتجاه البحر، مع حاجة الناس للتنزه المائي في فصل الصيف، دفعت هذه الظروف أهالي إدلب لقصد عين الزرقا في بلدة دركوش، بريف جسر الشغور، كمنتجع مائي وحيد ومنتزه محلي.

عين الزرقا نبع مائي يقع بأطراف بلدة دركوش الجنوبية بريف جسر الشغور غربي إدلب، في منطقة جبلية جميلة، تبلغ غزارته ٥,٥ متر مكعب في الثانية، قد أحيط النبع على مساحة جيدة منه بجدار إسمنتي قديم، مما شكل بحيرة ذات مساحة لابأس بها، وتتميز بجمالها وصفاء مياهها، وجاذبية المنطقة حولها، ما منحها أهمية سياحية ومحبة في نفوس الزائرين، تصب نبعة عين الزرقا بنهر العاصي الذي يمر قربها ببلدة دركوش أيضاً، والتي كانت تسمى سابقاً "عروس العاصي".

أسامة الشامي

يقصد نبع عين الزرقا حوالي الـ ٥٠ عائلة يوميا بشكل تقديري، ويتضاعف هذا العدد لنحو خمسة أضعاف يوم الجمعة من كل أسبوع، والذي يعتبر اليوم الأكثر ازدحاماً للمصطافين.

"مؤيد الفياض" أحد سكان ريف إدلب الجنوبي، والذي زار النبع، قال لزيتون: "زرت النبعة مرتين هذا الصيف، بهدف الترويح عن النفس والتنزه، وقضيت وقتاً ممتعاً بين الماء والخضرة وجبال دركوش الجميلة، وهي مكان مناسب لمقاومة حر الصيف، خصوصاً بعد استحالة زيارتنا للبحر".

يتوجه الأهالي إلى عين الزرقا على شكل عائلات أو مجموعات شبابية، ويقول "خليل المهدي" وهو رب أسرة زار المنتزه مع عائلته: "ليس أمام العائلات كمنتزه مائي سوى دركوش وعين الزرقا، لجمال الطبيعة هناك، فهي المكان الوحيد تقريباً للترويح عن النفس، وقد توجهت مع عائلتي إلى هناك هذا الصيف".

أما "عبد الحليم الخالد" فقد قصد المكان مع أصدقائه الشباب، لقضاء وقت ممتع في الطبيعة والماء، حيث لاتتوفر هذه المقومات في المسابح التي تفتقد عنصر الطبيعة، رغم توفيرها فرصة السباحة، واصفاً نبع عين الزرقا بأنها "بحر إدلب الصغير، سياحة وسباحة وطبيعة وماء وشواء".

وقد ساهم الأمان النسبي خلال الصيف الحالي والماضي في محافظة إدلب برواج السياحة في دركوش، بعد تحول قصف الطيران الروسي وطيران النظام إلى قصف متقطع في ظل اتفاق خفض التصعيد.

وتضم دركوش عدة ينابيع كنبع الدباغة والتكية والسخنة ومشو، ويتبع لها ١٤ قرية و٤٨ مزرعة أهمها عين السخنة وخربة الشمالية والبلكات وملك شرقي، كما تضم آثار ومعالم يونانية ورومانية، الأمر الذي جعلها مقصداً للزوار والمصطافين من كافة أنحاء محافظة إدلب وبعض أرياف المحافظات المجاورة لها كحلب وغيرها.

«عبد الرحمن» شاب من مدينة أريحا بريف إدلب الجنوبي قال لزيتون: «أتيت أنا وأصدقائي من أريحا لقضاء يوم جميل في دركوش في ظل الطبيعة الخلابة ومياه العاصي وعين الزرقا، لاسيما أن التكلفة بسيطة لا تتجاوز ٤ آلاف ليرة سورية للشخص الواحد».

أما «عدنان إمام» من مدينة عندان بريف حلب فقال: «بعد الضغط الكبير الذي تعرضنا له جراء الفترة الطويلة من القصف المتواصل، وبعد أن حرمنا من الاستمتاع بشواطئ اللاذقية، قررنا أنا وأصدقائي المجيء إلى دركوش للترويح عن أنفسنا والاستمتاع بجمال الطبيعة فيها، على الرغم من بُعد المسافة».

وأوضح «أبو محمد» من ريف إدلب لزيتون أن سبب اختياره لمنطقة دركوش تحديداً هو جمال طبيعتها ومناخها وموقعها البعيد عن الحدود، بالإضافة إلى وجود مزارع خاصة للعائلات بأسعار مقبولة تتراوح ما بين ٧- ١٠ آلاف ليرة سورية لليوم الواحد».

وشهدت حركة الاصطياف في ناحية دركوش في الآونة الأخيرة نشاطاً إثر دخول فصل الصيف، واتفاق تخفيف التصعيد في آنٍ واحد، وازدادت بنسبة الضعف عن العام الماضي على الرغم من تقلبات الطقس في هذه الفترة وهطول الأمطار حتى الآن، ما يعني أن عدد الوافدين إلى دركوش من الممكن أن يزداد بنسبة كبيرة في حال استمرار الهدنة، وفقاً لما قاله «أبو أيمن» من أهالي بلدة دركوش.

أما «سليمان أبو البهاء» صاحب محل تجاري في بلدة دركوش فقال لزيتون: «بنشاط حركة الاصطياف وقدوم المصطافين إلى البلدة نشطت الحركة التجارية فيها، وازداد الإقبال على أسواقها، وخاصةً يوم الجمعة».

في ظل الإقبال الذي تشهده مناطق الاصطياف في منطقة جسرالشغور وحدوث بعض حالات الغرق، أقام فريق الدفاع المدني خيمة إنقاذ على ضفاف نهر العاصي لتقديم أي مساعدة قد يحتاجها الزوار في المنطقة، وليكون على أهبة الاستعداد لتجنب حالات الغرق والحوادث الأخرى في المنطقة، وقد تمكنت فرق الدفاع من إنقاذ شخصين في اليوم الأول من مهمتها في المكان.

عضو المكتب الإعلامي في الدفاع المدني في منطقة دركوش «دريد باش» أوضح لزيتون أن الدفاع المدني أقام خيمة لتقديم خدمات الإنقاذ للمدنيين من الغرق، وتسهيل حركة السير، وتنفيذ حملات النظافة على ضفاف العاصي لضمان جمالية المنطقة، وتوسيع الطرق في المنطقة بعد وقوع عدة حوادث سير، وقد نجحت فرق الدفاع المدني في إنقاذ عدة أشخاص من الغرق خلال الأسبوع الأول من تواجدها.

بالقرب من دركوش على بعد ٢ كم عنها، تقع «حمامات الشيخ عيسى» ذات المياه الكبريتية الساخنة، والتي تعتبر منتجعاً صحياً وسياحياً، كما تعتبر منطقة حارم منطقة اصطياف أيضاً، لكن بسبب قربها من الحدود التركية وتخوف الأهالي من استهدافهم من قبل الجندرمة التركية، كانت دركوش الأنسب للأهالي للاصطياف والاستجمام.

الجدير بالذكر أن ناحية دركوش كانت مقصداً للسياح والمصطافين قبل بدء الثورة، وكان يطلق عليها لقب عروس العاصي، ومع تصاعد حدة القصف الجوي على المناطق المحررة تراجعت الحركة السياحية في دركوش لتستعيد نشاطها بعد إعلان هدنة المناطق منخفضة التصعيد.

السايح يطالب الأحرار بالمساهمة لدفع غرامة فرضها القضاء عليه ثمنا للحرية

ياسمين محمد

ظهر الدكتور "محمود السايح" بفيديو مصور انتشر على صفحات التواصل الاجتماعي يوم أمس، تحدث فيه عن قصته مع الثورة، ومعاناته مع نظام الأسد، ثم عن قصة اعتقاله من قبل فصيل الحمزات شمال حلب.

ابتدأ السايح الفيديو بالتعريف عن نفسه، حيث ذكر أنه طبيب مختص بالجراحة العظمية، ومن مواليد مدينة الباب شمال حلب.

ثم أشار لانخراطه بالثورة السورية، سياسيا وطبيا، وتعرض للاعتقال عدة مرات من قبل نظام الأسد، كان آخرها اعتقال دام عدة أشهر، وبعد خروجه من سجون النظام، استمر بشكل رسمي مع الثوار من خلال عمله الطبي.

وأوضح في حديثه أنه تنقل في عدة مناطق منها ريف حلب الغربي، ثم جسر الشغور ومدينة إدلب، والتي تعرض فيها البناء الذي يقطنه لغارة جوية، افتقد فيها عائلته كاملة زوجته وأطفاله السبعة، وأخيه وعائلته، وأدت لإصابته وأجرى بعدها عدة عمليات جراحية.

وقال السايح أنه انتقل إلى مدينته الباب في الشهر الرابع من عام ٢٠١٨، وبذات الشهر تعرض للاعتقال من فصيل "الحمزات" التابع لفصائل درع الفرات بالشمال الحلبي، بأسلوب مهين تعرض فيه للضرب والإهانة والشتائم، ثم تم تحويله إلى مركز الشرطة بعد ضغط شعبي كبير.

وأردف السايح أنه تم التحقيق معه من قبل ضابط مخابرات تركي، حول التهم المنسوبة إليه، والتي تتركز حول التعامل مع جهات إرهابية، وتأكد الضابط من براءته من هذه التهم، وتبين له أن سببها يعود لخلافات شخصية مع مفسدين نافذين في مدينة الباب، كان السايح قد تصادم معهم بسبب انتقاده لفسادهم، إضافة إلى أنه تم استجوابه بشأن تغريدات منسوبة له، ينتقد فيها سياسة أردوغان تجاه الملف السوري.

وأشار السايح إلى أنه خرج بكفالة مالية من محكمة مدينة الباب، ليتفاجأ بصدور حكم من محكمة الباب بتاريخ ١٤ /٢٠١٨/٨ ، يحكم عليه بالسجن لمدة ٦ أشهر، ثم خففت ل٣ أشهر، مع إلزامه بدفع مبلغ مالي قدره ٥٠٠٠ ليرة تركية، للسيد أردوغان، تعويضا له عن ما لحق به من أضرار نفسية واجتماعية نتيجة تغريداته على تويتر.

وأوضح السايح أنه ضد أي قرار أو حكم يصادر حرية التعبير ويؤله القادة والحكام، ويصادر الأقلام الحرة، ويرسخ الدكتاتوريات من جديد، بعد ملايين الضحايا والدماء الكثيرة التي سالت في سبيل الحرية والتحرر.

وناقش السايح القاضي أحمد النعيمي الذي حكم عليه، بتهمة تحقير رئيس دولة اجنبية، وأن القاضي ذكر أن أردوغان رئيس تركيا ورئيس العالم الإسلامي، وتساءل كيف يمكن لهذا القاضي أن يصف أردوغان بهذا الوصف، الذي يصب في خانة أعداء تركيا، ويقدم تبريرا للذين يصفونه بأنه رجل المبادئ الاسلامية، كما أن هذا التوصيف يعارض المبادئ الدستورية التركية التي تنص على علمانية الدولة.

واختتم السايح بالقول أنه وبحكم إصاباته التي تعرض لها جراء القصف الروسي، وإجرائه عدة عمليات جراحية بعدها حتى تعافى، لم يمارس أي عمل مادي، مما يجعله الآن عاجزا عن دفع التعويض، الذي حكم به القاضي للسيد أردوغان، ودعا السايح أحرار سوريا ممن يؤمنون بحق الكلمة وحرية الرأي، لأن يساهموا بحملة تبرعات، للتبرع بليرة تركية واحدة، حتى يستطيع جمع المبلغ الملزم عليه دفعه للسيد أردوغان.

وأنهى كلامه بالقول:
"إلى الذين يؤمنون بثمن الحرية العظيم، والذي كان ومازال هدف ثورة الشام، ساهموا بالمشاركة بحملتنا (تبرع بليرة واحدة تركية) حتى استطيع تأمين المبلغ كامل، وأدفعه للسيد أردوغان رئيس العالم الإسلامي، كما وصفه القرار، تعويضا له عن ما لحقه من أضرار مادية واجتماعية ونفسية".

الدكتور محمود السايح من أصحاب الموقف الثوري النبيل، منذ بداية الثورة، شهدت له ميادينها السياسية والطبية، كما شهد له أغلب نشطاء الثورة، والذين أجروا العديد من الحملات للضغط على سلطات الشمال لإطلاق سراحه أثناء اعتقاله، كما أطلق البعض عليه لقب أيقونة الثورة، عرف عنه أنه رجل مكافح للفساد ولا يصمت عنه، ويناضل ما استطاع بوجه المفسدين، كما أنه من أكثر الأشخاص تضحية في هذه الثورة، حيث تعرض المبنى الذي يسكنه لقصف روسي بتاريخ ١٥ أذار عام ٢٠١٧، استشهد إثره ٢٩ شخصا، من بينهم زوجته وأطفاله السبعة، وأخيه وزوجته وأطفالهم الثلاثة.

الديمقراطية داخل المؤسسات السياسية في إدلب

خاص زيتون

لم تكن الثورة السورية قليلة الحراك المدني والسياسي، فما أن انطلقت شرارتها حتى ظهرت عشرات التجمعات السياسية والنقابية والأجسام المدنية، وبالرغم مما اتسمت به من ارتجالية وعشوائية وضعف في التأسيس والهيكلة إلا أنها كانت النواة الأولى لما سيثبت مع الأيام جدارته وفاعليته.

وانعكس اضطراب المناطق الخارجة عن سيطرة النظام بما تعرضت له من قصف واقتتال بين الفصائل وعمليات نزوح وتدمير للبنية التحتية وانتشار الفوضى على أداء هذه التجمعات، ما أكسبها بعض من صفات الحالة العامة من ضعف وفوضى، مع وجود مسافة كبيرة ما بين الهدف المعلن والأداء الواقعي.

من أهم تلك الفروقات ما ظهر من ممارسات تتناقض مع توجهات هذه التجمعات، ففي إدلب بقي العمل السياسي دون الارتقاء إلى الحالة الديمقراطية إلا من بعض الاستثناءات التي لا تؤثر على الحالة العامة، وهو ما تتشارك به مع أغلب المؤسسات المدنية والعمل الثوري المنتشر والمتعلق في مختلف مجالات الثورة.

ولعل انتقال السلطة الداخلية في التجمعات وتداولها هو من أبرز المؤشرات على تبني العملية الديمقراطية بشكل عملي من قبل الأحزاب والتكتلات السياسية، فلا يمكن لحزب أو تجمع ما أن يدعي سعيه لإقامة دولة مدنية ديمقراطية تعددية، بينما يكون هو نفسه واقعا تحت هيمنة شخص مؤسسه أو مرهون بإرادة أشخاص محددين، أو دون أن يمارس هذه الديمقراطية في هيكليته وإدارته الداخلية.

ورغم ما تفرضه الأنظمة الداخلية المتوفرة في أغلب التجمعات السياسية من إجراءات تنص على إجراء انتخابات دورية تمكن المنتسبين إليها من اختيار قيادة مختلفة، وانتقال السلطة من كادر قديم إلى كادر جديد يمارس عمله كحلقة في ترسيخ فكر المأسسة والديمقراطية، إلا أن أغلب الأحزاب قد وقعت فيما وقع به المجتمع السوري من اعتبارات اجتماعية ومناطقية وعدم قبول مشاركة الآخر وممارسة النفوذ لديمومة استمرار السلطة، فضلاً عما تركته هذه الأسباب من معوقات في تقدم العمل السياسي في الداخل.

الهيئة السياسية في محافظة إدلب

تعد الهيئة السياسية في إدلب من أفضل الحالات التي تم رصدها في تداول السلطة والمشاركة في اتخاذ القرار، وذلك بالانتخابات التي أجرتها في انتقال رئاستها في أواخر عام ٢٠١٧.

تعتمد الهيئة السياسية في بنيتها التنظيمية على سبع دوائر موزعة في مناطق محافظة إدلب، تسمى وفقاً لمناطق توزعها بالإضافة إلى الدائرة الجديدة التي تم استحداثها في الدورة الجديدة وهي خاصة بمدينة إدلب، وذلك بعد طلب من أبناء منطقة إدلب، وتطلّب استحداث الدائرة تعديل النظام الداخلي من قبل المكتب التنفيذي الجديد بما يتناسب بحسب ما صرح به "غانم الخليل" مدير مكتب العلاقات العامة في الهيئة السياسية بإدلب لزيتون.

وأضاف "الخليل": "يشرف على هذه الدوائر مكتب تنفيذي يتكون من رئيس الهيئة ونائبين اثنين وعشرة أعضاء، يترأسون المكاتب "السياسي، القانوني، التخطيط الاستراتيجي، الإعلامي، المالي، العلاقات العامة، التنظيم والإدارة، التنسيق والمتابعة، المنظمات والدعم الإنساني، الارتباط العسكري".

وحول ممارسة الهيئة لمبدأ الديمقراطية فيها أوضح رئيس مكتب التنظيم والإدارة في الهيئة السياسية في ادلب "أحمد بكرو": "نحاول في الهيئة السياسية تأصيل مبدأ الأختيار المسؤول من خلال التصويت على القرارات والمواقف أو اختيار الأعضاء الممثلين سواء بالدوائر السياسية أو المكتب التنفيذي وحتى الرؤية السياسية للهيئة تم التصويت عليها قبل اعتمادها وكذلك النظام الداخلي".

وأضاف "بكرو": "أجرينا آخر انتخابات في تشرين الثاني من عام ٢٠١٧، وذلك مع نهاية ولاية المكتب التنفيذي السابق، وتمت التهيئة للانتخابات وعقد مؤتمر تم فيه انتخاب مكتب تنفيذي ورئيس جديد للهيئة، تفصلنا حاليا أربعة أشهر لانتهاء ولاية للمكتب التنفيذي الحالي وذلك في ٣١ كانون الأول من العام الحالي".

هيئة الحراك الثوري

"هيئة الحراك الثوري حالة تمثل الحراك الثوري وتمثل المظاهرات وتمثل مطالب الثورة لا تنطوي تنظيمياً تحت أي جهة، هدفها إنجاز مؤتمر عام يمثل الحراك الثوري ذو الانتماء الثوري والوطني، حينها تفرز قيادة ثورة حقيقية تعبر عن الثورة وهنا ينتهي الحراك الثوري" بحسب منسق الهيئة يسار باريش

منسق فرع ادلب في هيئة الحراك الثوري "رضوان الحسن" أجاب حول الممارسات الديمقراطية في داخل الهيئة بأن الوضع الحالي المفروض لا يسمح بممارسة الديمقراطية وإجراء انتخابات، مما دفعهم لاعتماد المكتب التنفيذي في اختيار المنسق العام.

وأضاف "الحسن" قام المكتب التنفيذي بانتخاب المنسق العام للحراك الثوري عندما توفي المنسق العام السابق "عبد الناصر ملص" وتم التوافق على "يسار باريش" ليشغل منصب المنسق العام، ونعمل على التحضير لمؤتمر عام لقوى الثورة لإعادة تشكيل إدارة جديدة".

وحول وجود نظام داخلي يوضح عملية انتقال السلطات في الهيئة، أوضح الحسن عدم توفر النظام الداخلي بانتظار الوصولِ إلى المؤتمر العام ليصار إلى وضع التفاصيل بما يخص النظام الداخلي.

حركة نداء سورية

تعرف حركة نداء سورية نفسها عبر موقعها الإلكتروني بأنها كيان سياسي وطني يخص السّوريين وحدهم ولا يميز بينهم، بالعِرق والدين والجنس والأساس، وتؤمن الحركة بأن السوريين وحدهم من يختار شكل الدولة ونظام الحكم، وباحترام حرية الرأي والرأي الآخر، وتعتبر الحركة أن مؤسسة القضاء هي مؤسسة النقد المستقلة، وهي المرجعية الوحيدة للسوريين، أما أهداف الحركة فهي العدالة والمساواة وحرية الإنسان.

وعن بنية الحركة التنظيمية واستراتيجيتها قال رئيس مكتب أوروبا في حركة نداء سوريا "أحمد المشوّل" لزيتون: "تعتمد الحركة في بنيتها التنظيمية على ثمانية مكاتب فرعية، تسمى وفقا لمناطق توزعها، ويشرف على المكاتب الفرعية مكتب سياسي عام يتكون من رئيس ونائب وأمين سر وثمانية أعضاء، وتحدد مدة ولاية المكتب العام بدورتين انتخابيتين، مدة كل دورة سنة واحدة، وللحركة نظام داخلي ناظم يوضح برنامجها وأهدافها ورؤيتها، ومهامها، والمهام التنظيمية، وشروط الانتساب لها".

ويوضح رئيس الحركة "سامي الخليل" أن تداول السلطة يتم من خلال مؤتمر عام والمؤتمر أعلى سلطة بالحركة، وما تزال حركة نداء سوريا دون مؤتمر عام لعدم توفر الشروط المناسبة لانعقاده.

ويؤكد "الخليل" أن لا أحد متمسك بموقعه والعمل يقوم على مبدأ التطوع بسبب رفض الحركة لتلقي أي دعم مادي من أي جهة تمسكا باستقلال قرارها، وقد حصل بعض التغيير لدواعي ظروف البعض، ولكن التغيير كان وفق رؤية قانونية.

التجمع الثوري السوري

يلخص مؤسس التجمع الثوري السوري "عثمان بديوي" أهداف التجمع بالعمل على وحدة الصف واحترام الحريات العامة والخاصة، وضمان الحقوق وتحقيق العدالة الانتقالية التي تضمن رد الحقوق ومحاسبة المجرمين، والسعي لبناء مجتمع وسطي ومشهد ديني معتدل، وقضاء ثقافي أصيل ومتعدد.

وعن بنية التجمع التنظيمية أوضح رئيس مكتب التنظيم "معين العبد القادر" لزيتون أن للتجمع نظام داخلي مكون من ستة فصول وأربع وثلاثين مادة، يضبط هذا النظام كل برامج عمل وخطوات التجمع، ويقود التجمع مجلس ثوري أعلى، يمثل قيادة التجمع، ويتبع له عدة أفرع في محافظات إدلب، حلب، حماة، ريف دمشق، وحمص.

مضيفاً بأن الهيكلية تبدأ من الأصغر حتى الأكبر، بالخلية الثورية، وهي أصغر تجمع سكاني كالقرية والمزرعة، تليها الوحدة الثورية، وهي عبارة عن تجمع خمس خلايا، ثم الدائرة، وتوجد بكل منطقة من مناطق محافظة إدلب، حيث يوجد ست دوائر بحسب مناطق المحافظة، كما أن للمجلس الثوري الأعلى للتجمع، رئيساً ونائبا له ورؤساء لتسعة مكاتب تدير أعمال التجمع، مدة ولاية المجلس سنة قابلة للتجديد مرة واحدة".

وفي ممارسة التجمع لثقافة الديمقراطية فيه قال "بديوي" إن أغلب التجمعات السياسية لها نظام داخلي موضوع من قبل الهيئة العامة أو المؤتمر العام، ضمن هذه الأنظمة تحدد الصلاحيات لكل جسم أو مكتب فيه".

وأضاف "بديوي" أن النظام الداخلي في تجمع سورية الثورة يبين الاجتماعات الدورية ودوريتها التي تناقش فيها المستجدات، ويتم معظم العمل واتخاذ القرارات عن طريق عملية التصويت في داخل التجمع كانتخاب المجلس الثوري وانتخاب الرئيس".

يعين الرئيس بعد انتخابه المكاتب ويطرحها على المجلس الثوري للتصويت، كما يمكن التصويت من المؤتمر العام أو الغرفة العامة على بعض القرارات التي تحتاج إلى أغلبية، بغض النظر عن الصلاحيات الممنوحة، وذلك بحسب "بديوي" الذي أكد أنهم الآن بصدد التحضير لمؤتمر عام لانتخاب الرئيس والمجلس الثوري، من المتوقع إجراءه خلال أسبوعين.

التجمع الشعبي للحراك الثوري في معرة النعمان

يهدف التجمع إلى العمل على بناء جسم ثوري ينبثق عنه مؤسسات مدنية حقيقية متكاملة، تملأ الفراغ الذي تسببت به حملات النظام من تدمير لجميع المؤسسات المدنية، بالإضافة إلى العمل على بث الوعي الفكري والاجتماعي والحقوقي والإنساني، حتى يحقق الانتقال من دولة الاستبداد والفساد والظلم والطغيان والإجرام إلى بناء دولة مدنية ديمقراطية تعددية، دولة القانون والعدالة والحقوق والحريات المدنية والسياسية.. بهذا يقدم أحد مؤسسي التجمع الشعبي للحراك الثوري "زياد أمنة".

في حين لم يكن لدى التجمع هيكلية تنظيمية مؤسساتية في الفترة الأولى لتشكيله، فتم الاعتماد في العمل والتنظيم والانتساب على المجموعة التأسيسية الأولى فقط، بحسب "محمد كامل منديل" أحد مؤسسي التجمع الشعبي للحراك الثوري، والذي أضاف: "كنا نؤجل هذه الأمور للمستقبل، ونخطط لترتيبها لاحقاً".

وكان واضحاً تأثير وفاة مؤسس التجمع "عبد الناصر ملص" على عمل التجمع ودخوله في حالة من الثبات رغم كل المحاولات الجادة من قبل أعضائه لإحيائه.

تجارب الممارسة الديمقراطية في التوحد والاندماج

مع ترقب مصير إدلب وسط تهديدات النظام بشن عملية عسكرية عليها، أعلنت ٩ هيئات سياسية وثورية في المحافظة، اندماجها تحت مسمى "الجبهة الوطنية السورية".

وذكر بيان صدر في مدينة إدلب، الخميس ١٦ آب الجاري، أن اجتماعا ضم مسؤولي "الهيئة السياسية في إدلب، تجمع سورية الثورة، المجلس الثوري السوري، اتحاد النقابات المهنية، تجمع سورية الأمل، تجمع ثوار ٢٠١١، تجمع طلاب العلم، المقاومة الشعبية، الناشطون المستقلون"، اتفقوا من خلاله على ستة بنود أبرزها الاندماج فيما بينها.

كما اتفق المجتمعون على تشكيل لجنة تحضيرية للتواصل مع كافة المكونات والهيئات الأخرى الراغبة في الاندماج، واعتبار الأشخاص المشاركين في الاجتماع هم أعضاء هذه اللجنة، والتي من مهامها الإعداد للمؤتمر العام.

وأكد البيان أن "الجبهة الوطنية السورية" تقف على مسافة واحدة من جميع القوى الثورية والعسكرية المساهمة في إسقاط النظام، مشيرا إلى أن باب الانضمام للجبهة مفتوح للجميع.

ولكن بعد ساعات من صدور بيان الاندماج، أصدرت الهيئة السياسية في محافظة إدلب بياناً توضيحياً تنصلت فيه من أي التزام، وأوضحت أن ممثلي الأجسام السياسية الأخرى صاغوا بياناً بتشكيل ما أسموه "الجبهة الوطنية السورية"، وسارعوا للتوقيع على ورقة بأسمائهم كموافقة مبدئية على الاندماج، واعتبرت أن ما جاء في الورقة هو قفز فوق مرحلة التشاور.

وأكدت الهيئة السياسية استعدادها لمواصلة التشاور بخصوص توحيد الكتل السياسية، وفق ثوابت واضحة وآليات محددة تراعي التزامات الهيئة السياسية تجاه الثورة.

من جانبها أصدرت المقاومة الشعبية بياناً مماثلاً أكدت فيه أنها لم تكن حاضرة في الاجتماع التشاوري ولم توقع على أي بيان، وأوضحت أنها ليست كياناً أو حزباً أو فصيلاً، وإنما هي حراك ثوري جامع مع كل ما من شأنه وحدة الصف وجمع الكلمة.

وتحاول الفعاليات السياسية والثورية في محافظة إدلب تجميع نفسها، لكن هذه المرة سياسياً وليس عسكرياً، بعد اندماج أغلب الفصائل العسكرية تحت اسم "الجبهة الوطنية للتحرير".

ويشير الاضطراب الواقع في عدم الاتفاق على البيان الصادر ارتجالية وسرعة مع قلة في التنسيق، كما يشير إلى الصعوبات التي تواجهها تلك التجمعات في اتخاذ القرارات على المستوى الداخلي، وهو ما يعيد تلك التجمعات إلى صقل أنظمتها الداخلية الحاكمة في اتخاذ القرارات والصلاحيات.

سبق هذه الخطوة محاولة لتوحيد بعض التجمعات السياسية سميت "مبادرة الثورة السورية في محافظة إدلب" بعدما أصدرت أربعة تجمعات سياسية في ٥ أيار الماضي، قراراً يقضي بتوحدها تحت جسم سياسي واحد، في خطوة هي الأولى من نوعها ضمن جهود مبادرة لتوحيد الخطاب السياسي في المحافظة وتوحيد التجمعات.

وذكر البيان أن المبادرة قد تم إرسالها إلى كلٍّ من: "الهيئة السياسية في محافظة إدلب، تجمع سورية الثورة، المجلس الثوري السوري، تجمع اتحاد النقابات المهنية، تجمع أبناء إدلب، هيئة الحراك الثوري، وشخصيات مستقلة".

اعتذرت الهيئة السياسية وهيئة الحراك الثوري عن الانضمام فيما لم يصدر عن الجسم المشكل أي قرار واضح فيما بعد، في صورة توحي بأن التوحد لم يكن فعالا.

واعتبر رئيس النقابات والاتحادات المهنية في إدلب "عبد الوهاب الضعيف" في حديث سابق له عن العمل السياسي والنقابي أن نزعة الأنا المنتشرة في العمل الثوري بشكل عام هي سبب الفشل المتلاحق، وإن لم نتخلص من هذه النزعة فلن نتخلص من سمة الفشل التي طبعت مؤسسات الثورة، والحقيقة هي أن الهيئات السياسية لم تصل لمرحلة النضوج السياسي، وما زال البعض يغلبون المصالح الضيقة على مصلحة البلد، وهي أحد أسباب ابتعاد الناس عنهم نوعا ما، على حدّ تعبيره.

الحياة البدوية في إدلب.. صعوبات وأصالة

الخيمة البدوية (بيت الشعر)، والقهوة المرة، وكرم البدويّ وزيّه المعروف بجلابيته وشماغه الأحمر، بالإضافة إلى قطعان الأغنام، هي أول ما يتبادر للذهن عند سماع مفردة "البدو".

كثيرا ما تم التحدث عن حياة أهالي إدلب المدنيين، والأكثر هو الحديث عن ملامح الحياة الحضرية فيها، في البلدات والقرى الكثيفة ومعاناتها في ظل الحرب، ولعل الحياة البدوية في إدلب وما تواجهه كانت بعيدةً دوماً عن الضوء.

خاص زيتون

الخيمة البدوية (بيت الشعر)، والقهوة المرة، وكرم البدويّ وزيّه المعروف بجلابيته وشماغه الأحمر، بالإضافة إلى قطعان الأغنام، هي أول ما يتبادر للذهن عند سماع مفردة "البدو".

كثيرا ما تم التحدث عن حياة أهالي إدلب المدنيين، والأكثر هو الحديث عن ملامح الحياة الحضرية فيها، في البلدات والقرى الكثيفة ومعاناتها في ظل الحرب، ولعل الحياة البدوية في إدلب وما تواجهه كانت بعيدةً دوماً عن الضوء.

تنتشر العديد من العشائر العربية في ريف إدلب الشرقي، وتغطي مساحات واسعة من هذا الريف ملامح الحياة البدوية، إلا أن هذه المناطق تعرضت لغزو قوات النظام وميليشياته منذ نحو عام، وهُجر معظم أهلها باتجاه عمق إدلب، فعصفت بأهلها ظروف جمة، وأثرت سلباً على الثروة الحيوانية، التي تعد مورداً اقتصادياً أساسياً لهم، وهاماً لكل أهالي إدلب.

وعن ذلك قال "محمد الرفيعي" من أبناء عشيرة النعيم في ريف إدلب الشرقي لزيتون: "تشرد عشرات الآلاف من أبناء العشائر البدوية، القاطنين في الريف الشرقي، فكان على كل منا أن ينقذ أهله ورزقه ومواشيه، ولم يكن لدينا الوقت الكافي حينها فخسرنا جزءً من أغنامنا، ونجونا بما استطعنا منها آنذاك".

وعلى الرغم من أن الحل والترحال هما دستور حياة البدوي وأساساً لحياة قطعانه، وكانا على مر العصور من أهم ملامح الحياة البدوية، إذ أن البدويّ يتتبع المراعي، فيرحل من مكان لآخر، ليحل حيث تتوفر المراعي لأغنامه، ولكن في ظل الحرب لم يتوقف الأمر على ما جرى من تقطيع لأوصال المناطق، بل تعداهاً إلى استبدال حلّه وترحاله وتنقله الحر الآمن بنزوح قسريٍ لا يهمه مصلحة البدويً ولا ينظر إلى مراعي أغنامه.

يقول "عبد الله العليوي" من أهالي ريف إدلب الشرقي: "كنا نغرّب ونشرق بقطعاننا سابقاً، نتبع المراعي وأينما طاب لنا الحال نحل، أما الآن فلا بلاد لنا ولا ترحال كيفيّ، وهناك ضيق بالمراعي، ولا نستطيع أن نرحل لمناطق يسيطر عليها النظام، ففضلاً عن مخاطر الاعتقال وما إلى ذلك، فإن حواجز النظام تأخذ منا ١٠ إلى ١٥ رأس غنم على كل حاجز نمر به، ما جعلنا نقلع عن المرور عليها نهائياً".

يقضي البدوي حياته باحثاً عن أفضل الظروف لقطعانه، فهو يعتمد عليها دون سواها في تأمين رزقه، فتربية المواشي هي المورد الاقتصادي للبدو ومصدر دخلهم، وهم ينشأون على طبيعة حياتهم هذه ويكبرون عليها، ويكرّسون كل اهتمامهم لمواشيهم، إلا أنها تواجه منذ بداية الثورة في سوريا ظروفاً قاسية، تقلق راحة البدوي، وتشوه ملامح الحياة البدوية.

"أسعد العليوي" صاحب قطيع أغنام من ريف إدلب الشرقي تحدث لزيتون عن أبرز الصعوبات والمشاكل التي تواجه مربّي الأغنام في المنطقة بقوله: "تواجهنا مشاكل عدة بتربية الأغنام، أهمها عدم تواجد العلف وعدم تأمينه لنا من قبل أي جهة، إلى جانب قلة المراعي أو شبه انعدامها، وانخفاض سعر الحليب وقلة الطلب عليه، فضلاً عن صعوبة التنقل، وفقدان الأمان، كل هذه الظروف تسببت بتراجع تربية الأغنام يوماً بعد يوم، فعلى سبيل المثال اضطررت لبيع أكثر من ثلثي قطيعي المؤلف من ١٥٠ رأس غنم، كي أستطيع التأقلم والاستمرار".

وطالب "العليوي" الجهات المسؤولة والحكومة والمنظمات الداعمة، أن تولي اهتماماً خاصاً لهذه الثروة الحيوانية، وتقدم لها أهم المستلزمات حتى تحافظ عليها وتمنع تدهورها.

على صوت الديك يستيقظ أصحاب البيت في الصباح الباكر، فينطلق شبان البيت لرعي المواشي، بينما تبدأ النساء بإعداد "خبز الصاج" ذو المذاق اللذيذ، ولا سيما عندما تصنعه البدوية الخبيرة بصنعه، لتضعه على مائدة إفطار عائلتها، إلى جانب لبن الغنم الصافي، وبيض الدجاج البلدي، والشاي الحلو، ثم مع اشتداد شمس الضحى يعود الشبان بالأغنام، لتنطلق النساء للحليب، فتجمع الأغنام بحبال طويلة وبطريقة اصطفاف ملفتة تعدها النساء، وتبدأ عملية

صعوبات الحياة

لا تختلف مشاكل الثروة الحيوانية عن بقية القطاعات الاقتصادية الأخرى في ظل ظروف الحرب والمشاكل التي تعاني منها المناطق المحررة في مواجهة التغيرات.

وعلى مدى الأعوام الماضية، عانت الثروة الحيوانية من تراجع كبير وخسائر فادحة في وقت يعتمدها الأهالي كمصدر رزق، ولا سيما في مناطق البادية بريف إدلب الشرقي والأرياف القريبة منها، ويأتي التراجع جراء القصف والجفاف والأوضاع الراهنة التي فرضت الصعوبات أمام تنمية هذه الثروة.

ويأتي ارتفاع أسعار الأعلاف والأدوية واللقاحات أضعاف ما كانت عليه، بالتزامن مع انتشار العديد من الأمراض التي تصيب المواشي والدجاج كالتسمم الغذائي على رأس هذه العوائق.

يضاف الى ذلك ما خسرته معظم مناطق ريف إدلب منذ عام ونصف، ما يقارب ١٥٠٠ رأس غنم جراء القصف الهمجي واستهداف أسواق الغنم بشكل مباشر، بالإضافة إلى عمليات التهريب التي تجري من المناطق المحررة إلى المناطق التركية،

«أبو حسين غنام» من بلدة «تل الطوقان» يملك ما يقارب ٧٥ رأساً من الغنم قال لـ «زيتون» أن أغلب سكان القرية يعملون في مجال الزراعة وتربية الأغنام ولديهم ذات الصعوبات، مؤكداً أنه في فصل الربيع يقوم الحلب اليدوي، والتي قد تستمر لساعات، قبل أن يأتي "الحلّاب"، وهو التاجر الذي يذهب إلى البدو لشراء الحليب منهم.

تقضي "أم عبد الله" السيدة البدوية أيامها حالياً في تجهيز الخبز وإعداد الطعام لعائلتها، وترتيب منزلها، بعد أن فقدت أجمل ما يميز حياة البدو، وبعد ما عانته جراء الظروف الأخيرة، ودون أن تجد هي وعشائر البدو في ريف إدلب الشرقي أي عونٍ من أي جهة، بحسب تعبيرها.

وكما بين أعمدة الخيام البدوية وحبالها ترابط وثيق لا يُنشأ بيت الشعر إلا بشدّ وثاقه، كذلك الرابط بين البدوي وملامح حياته التي اعتادها، ومن داخل تلك الخيام يتمسك أشخاص بطبيعتهم وعاداتهم وعملهم وقهوتهم المرة وخبزهم وأصالتهم، محاولين أن لا يسمحوا لقسوة الحرب بثنيهم عن الاستمرار بالحياة على طريقتهم.

بالرعي من الأراضي البرية التي تخفف عبء مصروف العلف.
أما في باقي فصول السنة فيبيع بعض الخراف ليطعم بثمنها باقي القطيع، وأشار الى أن غلاء العلف هو ما يرهق فعلياً مهنة تربية المواشي ويجعلها مغامرة خطرة ومكلفة قياساً بكمية الحليب المنتجة منها.

وتابع: نحن مجبرين على رفع الأسعار بالتزامن مع غلاء كل ما تحتاجه المواشي من غذاء وأدوية وغيرها، ناهيك عن نفوق بعض المواشي بشكل عارض.
لكن أبو حسين يؤكد أن مهنة الأنبياء هذه، القديمة قدم التاريخ لن يلغيها أي شيء مهما كان.

بؤس خطاب "المدينية والمدن" في الثورة السورية

انتظرنا طويلا حتى نرى ردا من أبناء الثورة السورية وقادتها الكثر، على مقال للسيد سمير نشار أحد قادة المعارضة البارزين والمعنون "في الدفاع عن المدينية والمدن" والذي نشر في احدى الصحف العربية البارزة.

المقال يأتي استكمالا "لأزمة" أشعلتها تغريدة لنشار على موقع تويتر، عزى فيها كل مصائب الثورة السورية وهزائمها العسكرية الأخيرة إلى أنها انحصرت في الأرياف ولم تمتد إلى المدن، وأن القادة "الريفيون" كما أسماهم نشار، كانوا السبب الرئيس لهزيمة "أنبل ثورات الربيع العربي".

أسعد كنجو

تحميل السيد نشار الريف مسؤولية الهزيمة، أثار السخط والسخرية في الأوساط السورية، حين حاول ابتداع مظلومية للمدن رغم أن أحدا لم يقلل من دور وأهمية المدينة في الثورة، فما حصل بالضبط أن السيد نشار هاجم الريف والريفيين منتصرا للمدينة والدفاع عنها، هاربا للأمام بالحديث عن الاختلاف مع بيئة الريف، فوجد العديد من مناضلي الريف المهمش والفقير الذين دفعوا سنوات من أعمارهم في السجون والاقصاء، شعروا بأن نفسا عنصريا استعلائيا في لغة نشار، فهم الذين حملوا راية المعارضة السياسية والثقافية في وجه النظام عندما كان في أوج سطوته وقوته، في وقت كان العديد من قادة اليوم يرفلون بنعيم النظام.

على مدى سنوات، تصدر السيد نشار المشهد السياسي المعارض وكان فارس الفضائيات العربية والأجنبية، متحدثا باسم الثورة، التي بات يصفها بالريفية، ومدعيا تمثيلها في المحافل والمؤتمرات الدولية والاقليمية، كما تسابق هو وزملاءه في المجلس الوطني السوري للتقرب من قادة الفصائل "الريفيون" في الداخل السوري، وكالوا لهم المديح ورسائل الغزل والاطراء، لكن مع بدء التراجع الميداني، أصبح التنصل والتهرب من المسؤولية مهنة لأغلب السياسيين المعارضين، فأبناء الثورة البسطاء، الذين حملوا أرواحهم على أكفهم من أجل التحرر من العبودية والقهر، يحملهم السياسي المترف اليوم، مسؤولية تدهور ومألات ثورتهم المغدورة، ونسي أو تناسى أعضاء الائتلاف أن سياساتهم الصبيانية ومصالحهم الخاصة وارتزاقهم في العواصم الأجنبية والعربية، هي أحد أهم أسباب الكارثة والخراب.

السيد نشار، تحت وقع هزيمته الشخصية وانحسار دوره، تناسى هو وغيره، أن العديد من أبناء المدن فروا إلى الأرياف هربا من القبضة الأمنية للنظام في المدن، وتغافل عن وجود فصائل مقاتلة باتت في غالبيتها من أبناء المدن.

وللتذكير، مع بداية العام ٢٠١٥ كان النظام يسيطر على أقل من ١٨ بالمئة من مساحة الأراضي السورية، وأن نظام الأسد كان قاب قوسين أو أدنى من السقوط لولا التدخل الروسي والتواطؤ الغربي، وهي ذات الفترة التي لم ينتبه فيها السيد نشار أن الثورة "ريفية".

يعلم السيد نشار جيدا أن من أدخل القاعدة وداعش إلى سوريا لم يكونوا أبناء الريف، ولا المدن، ومن هلل ودافع والتقط الصور مع قادة الفصائل "الجهادية" كانوا سياسيين و"مثقين" ومنظرين للثورات الأممية، ولم يكونوا من أبناء الريف فقط، فالعناصر الجهادية لم تنزل من السماء، ولم تخرج من بين مسلمي الشعب السوري الوسطيين تاريخيا، بل دخلت من دولة مجاورة، ودعمت عسكريا وماليا من دول أخرى، تلك الدول هي ذاتها كانت ولا زالت ولية نعمة هؤلاء المثقفين الثوريين جدا، ويعلم السيد نشار وزملائه المعارضين الاشاوس، أن مناضلي ونشطاء الريف والمدينة هم أول من خرج في مظاهرات ضد تعسف الفصائل "الجهادية" وتحمل التشريد والتهجير القسري، وأن أبناء الداخل وليس مناضلي الخارج هم من أدرك مبكرا خطورة هذه الجماعات الإرهابية التي اختطفت ثورتنا النبيلة.

وأذكر السيد نشار وزملاؤه جورج صبرا وميشيل كيلو أن أبناء الداخل (مدنا وريفا)، يدركون أن غالبية السياسيين شاركوا بجريمة أسلمة الثورة، وإن كان كيلو وصبرا نطقوا كفرا، فالبقية كانوا شياطين خرس.

ولا يخفى على أحد الاستذلال البائس لقادة المجلس الوطني والائتلاف (من الريف والمدينة) أمام ممثلي العواصم وسفراء الدول، منذ البدايات، حين ساوموا على مبادئ الثورة، وكيف ساقوا علمانية ووطنية الثورة إلى مذبح الإخوان المسلمين ولاحقا القوى التكفيرية الجهادية.

الغريب أن السيد نشار أعاد تغريدته الخرقاء سياسيا في مقالته الشهيرة، رغم مضي سبع عجاف على اندلاع الثورة، وبعد أن تأكدت حقيقة الظروف الدولية والإقليمية والأزمة الخليجية الأخيرة كعوامل كارثية وحاسمة في انحسار الثورة، بما يتجاوز الطروحات الساذجة لأصول أبناء الثورة وقادتها والتمييز بين المدن والأرياف التي انحدروا منها.

لا بالانتصارات ولا بالانتكاسة، شعر أبناء الثورة السلمية الأوائل، أنهم ينتمون لتلك "النخبة المتحكمة"، ولم يدركوا بعد من نصبهم على شعبنا ولا من أعطاهم حق الحديث باسم إنجازاتنا، وفروا مذعورين وتحولوا إلى علماء انثروبولوجيا حين بدأت الانتكاسات.

ولعل بدء البعض من قادة المعارضة في القفز من سفينة الثورة ولو متأخرين، هي الفرصة الجديدة لتطهير نضالنا السياسي من سلوك الوصولية والارتزاق والعبث السياسي، وسنقول لهم وقتها، لكم "مدنيتكم" ولنا ثورتنا، شكر الله سعيكم.

لئنسنة أرقامهم.. كتاب «حين تتحدث الزنازين» عن شهداء إدلب تحت التعذيب

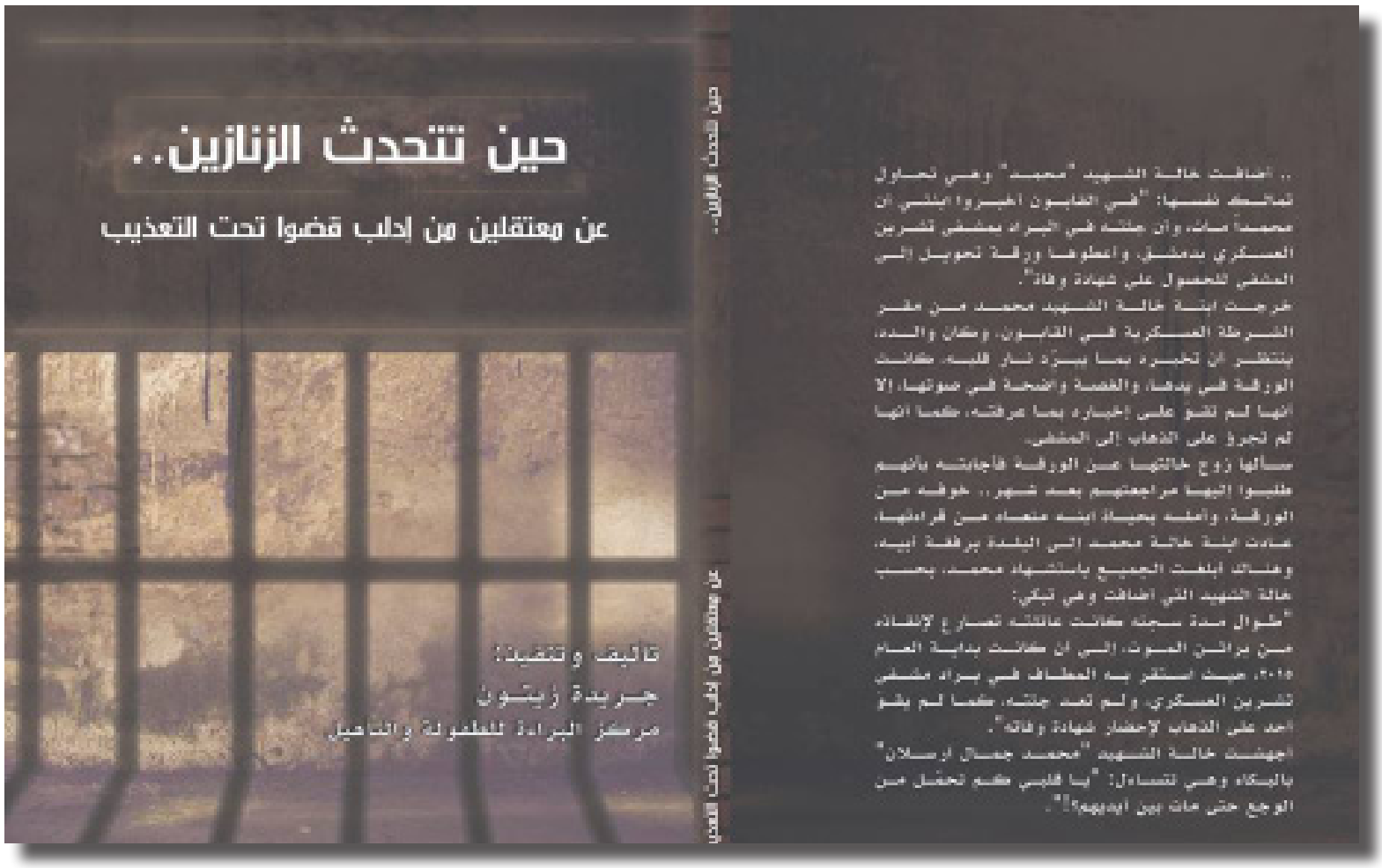

رائد رزوق

«.. أضافت خالة الشهيد «محمد» وهي تحاول تمالك نفسها: «في القابون أخبروا ابنتي أن محمداً مات، وأن جثته في البراد بمشفى تشرين العسكري بدمشق، وأعطوها ورقة تحويل إلى المشفى للحصول على شهادة وفاة».

خرجت ابنة خالة الشهيد محمد من مقر الشرطة العسكرية في القابون، وكان والده، ينتظر أن تخبره بما يبرّد نار قلبه، كانت الورقة في يدها، والغصة واضحة في صوتها، إلا أنها لم تقوَ على إخباره بما عرفته، كما أنها لم تجرؤ على الذهاب إلى المشفى.

سألها زوج خالتها عن الورقة فأجابته بأنهم طلبوا إليها مراجعتهم بعد شهر.. خوفه من الورقة، وأمله بحياة ابنه منعاه من قراءتها، عادت ابنة خالة محمد إلى البلدة برفقة أبيه، وهناك أبلغت الجميع باستشهاد محمد، بحسب خالة الشهيد التي أضافت وهي تبكي:

«طوال مدة سجنه كانت عائلته تصارع لإنقاذه من براثن الموت، إلى أن كانت بداية العام ٢٠١٥، حيث استقر به المطاف في براد مشفى تشرين العسكري، ولم تعد جثته، كما لم يقوَ أحد على الذهاب لإحضار شهادة وفاته».

أجهشت خالة الشهيد «محمد جمال أرسلان» بالبكاء وهي تتساءل: «يا قلبي كم تحمّل من الوجع حتى مات بين أيديهم؟!».

بهذا المقطع ينهي كتاب «حين تتحدث الزنازين» عن معتقلي إدلب قضوا تحت التعذيب قصصه.

ويتناول الكتاب حكاية سقوط ٥٣ شهيدا على الأقل وذلك لاحتواء بعض القصص على أخوة وتوائم وأب وابنه، لم ينجوا من جرائم التعذيب في سجون النظام.

الكتاب الذي شارك في إعداده وتنفيذه كلا من جريدة زيتون ومركز البراءة للطفولة في سراقب في عمل مشترك بينهما، حاول تسليط الضوء على ما طرأ من تغييرات جذرية على الأسر السورية بعد فقد أفراد منها بطريقة بشعة، بعضهم تم نشر صوره بعد استشهاده من ضمن صور قيصر، والبعض الآخر تسلم ذويهم شهادات وفاتهم بعد مراجعة الشرطة العسكرية في دمشق أثناء بحثهم عن أبنائهم، في حين نقل قسم كبير من المفرج عنهم أخبار استشهاد زملائهم في السجن للأهالي.

وكان فريق التنفيذ قد وضع عدة معايير لاعتبار الشخص شهيدا تحت التعذيب، منها أن تكون عائلة الشهيد قد تسلمت شهادة للوفاة من النظام، أو أن شاهدا من المفرج عنهم كامل الأهلية قد نقل خبر استشهاده، أو ورود اسم الشهيد في قوائم النظام الأخيرة التي تسلمتها مدينة خان شيخون أو أن تكون صورته من ضمن صور قيصر.

وتأتي هذه المعايير بحسب فريق التنفيذ لاستبعاد أية شبهات حول استشهاد الشخص أو بقائه على قيد الحياة، رغم أن الكثير من العائلات ما زالت تنكر استشهاد أبنائها رغم توفر الوثائق المسبقة الذكر، تمسكا منهم بأمل عودة أبنائهم الذين لم يروا جثامينهم أو يحصلوا على جثثهم.

بضعة حالات لم تتجاوز الخمسة من أصل ٥٣ حالة تم حصول الأهل على الجثث، وهو ما يبقي الأهل في حالة من العذاب والتشكيك في مصير أبنائهم رغم الوثائق، كما يثير القلق بمصير مجهولي المصير بعد من المعتقلين.

كما حاول الكتاب أن يعيد للشهداء حياتهم قبل الاعتقال، ويرجع إليهم أحلامهم واهتماماتهم وسلوكهم مع عائلاتهم وأطفالهم، وذلك في استقصاء أقوال ذويهم وجيرانهم وأصدقائهم، وفي ضم صورهم القليلة المتبقية وصور متعلقاتهم وهواياتهم، والكتاب بذلك يحاول مسح الأرقام التي وضعها النظام في صور قيصر على جبين الشهداء، في محاولة منه لسلبهم بشريتهم وتحويلهم إلى أعداد ليس لها معنى كما يراهم.

ويشدد فريق التنفيذ على أن الكتاب هو خطوة متواضعة أولى نحو توثيق حياة الشهداء تحت التعذيب في كامل سوريا، على أمل أن يتم تنفيذ نصوص تحاكي قصص «حين تتحدث الزنازين» في باقي المحافظات لتضم جميع من استشهدوا في ظلمات السجون وتحت سياط التعذيب.

ولعل أبرز ما يقدمه الكتاب تلك النظرة الفوقية في تعاطي النظام مع المعتقلين من سوء معاملة وسخرية واستهتار بحياتهم وحياة ذويهم، يتجلى ذلك في مفردات السجانين وردود المسؤولين في الشرطة العسكرية على الأهالي الباحثين عن أبنائهم، أو بطريقة تعاملهم مع جثامين الشهداء.

تتكرر في الكتاب مفردات العذاب والحسرة والألم والبكاء، في حالة طبيعية لأهل الشهيد حين يسترجعون حكاية موت فقيدهم تعذيبا، كما تتكرر الكثير من الحالات المتشابهة في السؤال عما فعله الشهيد لكي يستحق مثل ذلك المصير، والحسرة على حرمانهم من قبر يمكنهم من زيارته والتخفيف عنهم.

ويصف فريق تنفيذ اللقاءات مع الأهالي أن المهمة لم تكن باليسيرة، إذ غرقوا في الحالة النفسية لأقارب الشهداء، لا سيما مع تكرار حالة الحزن والفقد والألم، كما واجهوا مخاوف البعض ورفضهم سرد قصص شهدائهم فيما تعيشه المحافظة من مخاوف اقتحام قوات النظام لها، كما عانوا من ندرة صور الشهداء بعد سنين من القصف والنزوح للعائلة، إلى صعوبة تذكر تواريخ الاعتقال والوفاة لدى بعض الأسر بدقة، أو معرفتهم باستشهاد أبنائهم بعد مدة طويلة، وصعوبة التنقل بين مدن وبلدات ريف إدلب وخطورتها.

الكتاب الذي تم تنفيذه بوقت قصير خلال شهر آب، من جمع المعلومات ولقاءات العائلات إلى طباعته، مكون من حوالي ١٥٠ صفحة، تمت طباعته في دار نون ٤ للنشر والتوزيع في فرعها بغازي عينتاب في تركيا، بتمويل من منظمة fpu لدعم الشراكة بين المؤسسات الصحفية ومؤسسات المجتمع المدني.

مدير دار نون ٤ «محمود وهب» أفاد أن الكتاب سيتم الانتهاء من طباعته في الثاني من أيلول القادم، وسيتم توزيعه مجاناً في محافظة إدلب، كما من الممكن أن يشارك في معرض للكتاب في اسطنبول في منتصف أيلول القادم.

تقول مقدمة الكتاب: «إن توثيق الشهداء الذين قضوا تحت التعذيب هدفه تخليد الذكرى ذات البعد المهم في وجدان أهالي المعتقلين، لشعورهم بحصول أبنائهم على حقوقهم، ومساعدتهم على تجاوز آلامهم والاستمرار في الحياة.

كما أن للتوثيق من أهمية في محاسبة المجرمين مستقبلاً في حال الوصول إلى مرحلة العدالة الانتقالية، وهو ما يحققه الكتاب في توثيق الشهادات والشهود والتواريخ والأمكنة التي تمثل وثيقة تؤكدها أدلة ومعلومات مفيدة في محاكمة المجرمين».

البائع المتجول.. الشهيد محمد إسماعيل الخاني

من كتاب حين تتحدث الزنازين

بقامته المتوسطة وسمرته الجذّابة وطيبته وبساطته، كان يتجوّل في شوارع قريته معرشورين والقرى والبلدات المحيطة بها، حاملاً بضاعته ومسؤولية تأمين لقمة عيش عائلته، إذ ترك "محمد إسماعيل الخاني" مواليد عام ١٩٧٨ تعليمه منذ صغره، نتيجة ظروف عائلته المادية الصعبة، ليدخل سوق العمل مبكراً كبائع متجول، ويبقى في مهنته تلك حتى اعتقاله.

كان "محمد" إنساناً بسيطاً ومحبوباً من قبل الجميع، وذلك لأمانته، ورفضه للغش أو الخداع، ومراعاته لأحوال الناس المادية بالرغم من بساطة حالته هو الآخر.
اعتقل محمد على أحد حواجز الجيش في قرية "الزعلانة" القرية الصغيرة القريبة من بلدته، وذلك في شباط عام ٢٠١٢، أبلغنا سائق السيارة التي كان يستقلها محمد أنَّ الحاجز اعتقله، توقف الرجل السبعيني "إسماعيل الخاني"، الذي خطت حكايات الظلم والقهر والفقر حروفها تجاعيد على وجهه الذي كانت قد غطته دموع حزن على ولده محمد وإخوته الثلاثة، الذين غيبتهم السجون أو غارات الطائرات الروسية.

"بعد اعتقال محمد نقل إلى المركز الثقافي في معرة النعمان، إذ كان النظام قد اتخذه في تلك الفترة نقطة عسكرية، يجمع فيه الشباب المعتقلين قبل نقلهم إلى السجون الرسمية، وتنقل محمد بعدها بين عدة فروع أمنية وسجون، بدءاً من سجن الرقة وانتهاءً بالفرع ٢١٥ بدمشق الذي استشهد فيه بحسب ما أظهرت صور قيصر"، وأضاف أخو الشهيد محمد الذي تدارك بكاء والده ليكمل عنه الحديث: "كان زملاء محمد في السجون، يتواصلون معنا خلال السنة الأولى من اعتقاله، ويخبروننا عن التعذيب الذي يتعرض له، ولكن أخباره انقطعت بعدها بشكل كامل، ولم نعد نعرف أين هو أو ماذا حل به، وكانت آخر معلومة لدينا أنه في سجن الرقة، لنفاجأ بعد تسرب صور قيصر، وفي تموز عام ٢٠١٦ بالتحديد، أن صورته بين الشهداء الذين سقطوا تحت التعذيب في الفرع ٢١٥".

تابعت خالة الشهيد الحديث عن ابن أختها قائلة: "كانت تردنا أخبار عن سوء حالته الصحية في السجن، وإصابته بمرض السل، وكنا نقف عاجزين، غير قادرين على تقديم أية مساعدة له"
وبعد تنهيدة طويلة قالت:

"ربما كان موته أرحم مما كان يلاقيه في السجن".

أحد الناجين من سجون النظام أخبرنا أن محمد كان يتعرض للتعذيب بوحشية، ويمضي ساعات طويلة في التحقيق، ليعيده السجانون بعدها ويرموه على أرض الزنزانة كخرقة بالية، يحاول زملاؤه تقديم ما يستطيعون من المساعدة له حتى يستعيد وعيه، قالها والد محمد وصمت.

العائلة والنشاط

يقول أخو الشهيد محمد: "كان محمد إنساناً بسيطاً جداً، لا يشغل باله سوى تأمين لقمة الخبز لأولاده الأربعة، حتى إنه لم يشارك في المظاهرات على عكسنا نحن باقي إخوته، ورغم ذلك اعتُقل وعُذّب حتى الموت".

وأضافت خالته: "كان كل همه تربية أولاده، وكان شديد الخوف عليهم، وها هو ذا قد تركهم مكسورين في غيابه، مشتاقين لحضوره بينهم، في كل مناسبة يفتقدون وجوده، ويتحدثون عنه، أما زوجته فهي دائمة الحزن منذ لحظة اعتقاله، وبعد استشهاده فقدت الرغبة بالحياة".

الشهيد مصعب الخاني.. الأخ الأصغر والشهيد الأول

لم يكن محمد وحده من استشهد في عائلة إسماعيل الخاني، إذ كان أخوه الأصغر مصعب ذو الثلاثين عاماً، وهو أب لثلاثة أطفال، وعضو تنسيقية قريته، وأول المشاركين في المظاهرات والداعين لها، كما كان الإعلامي الذي يصورها، استشهد قبل محمد، وتعرض للتعذيب الشديد حتى الموت، ولكنه لم يصمد بين أيدي عناصر الإجرام لأكثر من ٣ ساعات، كان ذلك في الشهر نفسه الذي اعتقل فيه محمد.

في شباط عام ٢٠١٢، كان مصعب مع أحد رفاقه يسيران في القرية، وكان هناك حاجز للنظام ضمن القرية، فأطلق النار عليهما وأصيب صديقه، وظن الجيش أنه مات فتركوه، واعتقلوا مصعباً ليصحبوه إلى قرية خان السبل.

بدأ شباب القرية بالبحث عنه مباشرة لعلهم يستطيعون الوصول إليه وتحريره، ولكن للأسف وجدوا جثته بعد ثلاث ساعات فقط من اعتقاله، مرمية على الطريق العام بين قريته والقرية المجاورة، وكانت آثار التعذيب واضحة على مصعب، وقد تم تعذيبه حتى الموت.

ربما كان استشهاد مصعب بهذه السرعة، ورؤية والده له بهذا المنظر، وخبرته لمدى إجرام النظام وعناصره، عبر ما شاهده من آثار التعذيب على جسده، هو ما زاده خوفاً على محمد، وإصراراً على استنفاذ كل الفرص المتاحة وغير المتاحة لإنقاذ ابنه الثاني من براثن النظام، ولا سيما أن الوقت لم يسعفه لإنقاذ ابنه الأول، ولم تكن إلا بضع ساعات ليعود إليه جسداً معذباً ومشوهاً بلا روح.

يقول الوالد: "بالرغم من أنني بسيط الحال، ولا أملك ثروة، إلا أنني بذلت جهدي لأنقذه، ولجأت إلى أحد المحامين للكشف عن مصيره، ولكنه لم يصل إلى نتيجة، واتبعت سبلاً كثيرة، ووعدني بعضهم بالمساعدة، غير أنها كانت حالات نصب واحتيال، وكنت راضياً بأي مبلغ أو خسارة مادية لو أن أحدهم تمكن من الوصول إلى محمد أو إنقاذه من الموت.. حرق قلبي محمد كم لاقى من ويلات وألم حتى مات بين أيديهم".

أحنى والد محمد رأسه باكياً عاجزاً، فبعد هذه الكلمة وتلك الدموع لم يبق ما يقال.